ولم نسمع تحقق تاويل الكتاب فيما مضى من الادوار فان صح فيما يستقبل فيبعد قلب الشقي سعيدا
وبالعكس فان حصل فكيف تدوم السعادة والشقاوة مع تبدل الادوار قيل لهم ان ربكم الله
الذي خلق السموات والارض فلا يبعد عليه ابطال هذه الادوار وخلق دور يخالفها اذ ليست
قديمة ولا مخلوقة في يوم واحد بل في ستة ايام لترتب ما فيها فخلق الافلاك ثم الكواكب
ثم العناصر ثم المعادن ثم النباتات ثم الحيوانات ثم استوى على العرش ليفيض عليها
بواسطة الحركة اليومية وبهذه الحركة يغشي الليل النهار اي يجعل الليل ساترا للنهار فلا
يبعد منه جعل السعيد شقيا وبهذه الحركة يطلبه اي النهار بعد الليل حثيثا اي سريعا اذ الحركة
الخاصة بطيئة فلا يبعد منه جعل الشقي سعيدا و لا يبعد عليه ادامة السعادة والشقاوة
لانه خلق الشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره لا تاثير لها بانفسها فله ان يبطل ما اعطاها
الا له الخلق والامر فهو الذي خلقها وامرها بالتاثير ولا يمتنع عليه شيء بواسطة تعوق من خلقه
او امره لانه تبارك الله اي تعاظم لانه رب العالمين وامتناع شيء عليه ينافي تلك العظمة و
الربوبية وكيف يترك الاسعاد والاشقاء الابديين وقد خلق ما خلق ليستدل به عليه فيعبد
لكنه انما يعبد اذا علم انه يسعد العابد ابدا او يشقي التارك ابدا ادعوا ربكم اذ العبودية
تقتضي التذلل فليكن دعاؤكم تضرعا اي تذللا و التذلل انما يتم بالاخلاص فليكن خفية لانه
اقرب الى الاخلاص وكيف تتركون دعاءه وهو تجاوز عن العبودية انه لا يحب المعتدين ثم
ترك دعائه من قلة مبالاة به و هو يستلزم الافساد في الارض ولا تفسدوا في الارض بعد
اصلاحها على السنة الرسل و اذا عبدتم فلا تعجبوا فانه ينافي التذلل المطلوب منها بل خافوا
التقصير ادعوه خوفا و لا تتركوا من الخوف عبادته بل ادعوه طمعا في تكميلها بفضله و
لا يبعد منه ان كنتم محسنين تعبدونه كانكم ترونه ان رحمة الله قريب من المحسنين وكيف
لا تقرب رحمته منهم والاحسان منشا رياح المحبة التي اذا انتشرت نعمت اجزاء المحب
حملت اوصاف المحبوب كانها السحب الثقال بمياه الفيوض فساقتها الى من فني في المحبة
كانه البلد الميت فانزلت به الفيوض فاخرجت بها ثمرات العلوم والاحوال والمقامات فيقرب
رحمته من المحسن كقطره واخراجه الثمرات من البلد الميت مع انه لا فعل له اصلا من الاحسان و
انشاء الرياح اذ هو الذي يرسل الرياح بشرا يعم الجوانب بين يدي رحمته اي المطر فان الصبا
ينشر السحاب والشمال يجمعه والجنوب يدره والدبور يفرقه حتى اذا اقلت اي حملت سحابا
ثقالا بالماء ثقالا سقناه مع ان طبعه الهبوط لبلد ميت قابل للحيوة فانزلنا به الماء لحيوة النبات
فاخرجنا به من كل انواع الثمرات وكما اعدنا الثمرة الى حالها بعد تلفها بالكلية كذلك نخرج الموتى

فلا بعد

فلا بعد منا احياء من مات بالفناء فيه نحييه بالبقاء به لعلكم تذكرون من احوال الثمرات
احوال الاخرة ومنها احوال الحيوة بالله من العبادة على نهج الاحسان ولا يلزم اطراد
ذلك في حق كل عابد لانهم مختلفون اختلاف الاراضي الميتة اذ البلد الطيب ترتيبه يخرج
نباته عزيز النفع لا بذاته بل باذن ربه اي تيسيره والذي خبث كالحرة والسبخة لا يخرج نباته
الا نكدا عديم النفع كذلك نصرف الايات لقوم يشكرون المواهب بعد امكانهم
فلا ينسبونها اليها بل الى فضل الله عليهم لقد ارسلنا ارسال الرياح لامطار الشرائع
لاحياء موتى القلوب واخراج نبات الطيب حسنا والخبيث نكدا نوحا هو ابن لمك
بن متوشلخ ابن اخنوخ هو ادريس عليهما السلام الى قومه الذين له عليهم شفقة فقال
يا قوم الذين حقهم ان يشاركوني في كمالاتي اعبدوا الله لتكملوا بكمالاته التي يفيضها عليكم به
لا غيره ما لكم من اله غيره اني اخاف عليكم ان تركتم عبادته او عبدتم غيره عذاب يوم عظيم
وصف بالعظمة لعظمة عذابه السالب للكمالات قال الملأ اي الاشراف من قومه من
جنسهم الذي امده شرفهم انا لنريك بامرك بعبادة الله وترك عبادة غيره وتخويف العذاب
على ترك عبادة الله وعلى عبادة غيره في ضلال مبين اذ تامرنا بعبادة ما لا ندركه و
ترك عبادة ما ندركه وتعدنا الكمال في عبادة من لا ندركه والنقص في عبادة من ندركه
وتعدنا العذاب العظيم الذي لم يحصل لاحد من ابائنا مع اصرارهم على مثل افعالنا قال
يا قوم ليس بي ضلالة اي شيء من الضلال فان المعبود يجب ان لا يدركه العابد اذ
المدرك محاط به وهو قاصر والمعبود يجب ان يكون له الكمال المطلق والارواح التي
لا ترى اكمل من الاجسام والاعراض المرئية والمعبود يجب ان يكون اكمل من الارواح و
لست بوعد العذاب ضالا ولكني رسول والرسول لا بد وان يكون منذرا ووقوعه ممكن لانه
من رب العالمين ذي العلم التام والقدرة التامة واني فيه صادق لاني ابلغكم رسالات
ربي فلا يكون خوارق الا تصديقا لها ولو لم يدل خوارق على تصديقي لوجب عليكم قبول قولي
لما علمتم اني انصح لكم ولو لم تعلموا نصحي لوجب عليكم قبوله لما علمتم اني اعلم من الامور الغيبية
التي يعلم انها لا تعلم الا بطريق الوحي من الله ما لا تعلمون انكرتم رسالتي او عجبتم ان جاءكم
ذكر اي موعظة من ربكم اي الذي رباكم بوجوه التربية وهذا كلها لكن لم ينزله عليكم ليلا
يلجئكم الى الايمان والمقصود منكم بل على رجل كامل وان كان منكم لا لالجائه الى الايمان لسبق
ايمانه بل لينذركم عن العذاب ولو لم يكن عذاب لوجب ان ينذركم النقايص ولتتقوا اي لتحفظوا
عن النقايص ولا يقتصر في حقكم على التحفظ من النقايص بل لعلكم ترحمون بافاضة الكمالات

Copyright © King Saud University